جامعة الإسكندرية
كلية الأداب
قسم التاريخ الإسلامى
الدراسات العليا

# ثورة عبد الرحمن بن الأشعث
## عام (٨١هـ-٧٠٠م)
## وأثرها على أهل العــراق

إعداد الباحث

**زين العابدين كامل سيد**

# ثورة عبد الرحمن بن الأشعث عام (٨١هـ٧٠٠م) وأثرها على أهل العراق

لا شك أن عصر الدولة الأُموية قد شهد فتوحات إسلامية كثيرة، ولكنه أيضا قد شهد كثيراً من الثورات الداخلية، ومن هذه الثورات، ثورة عبد الرحمن ابن الأشعث فهى إحدى الثورات القوية التى قام بها أهل العراق، وقد قام أهل العراق بهذة الثورة على واليهم الحجاج بن يوسف، والتفوا جميعا حول عبد الرحمن بن الأشعث، الذي تولى قيادة هذة الثورة، ولم تقم هذه الثورة على أساس مذهبي كما هو الحال بالنسبة لثورات الخوارج والشيعة، بل دفع إليها الكراهية المتبادلة بين قائدها وبين والي العراق الحجّاج بن يوسف، قد بدأت هذه الثورة العارمة من إقليم سجستان،بعد خلاف وقع بين ابن الأشعث والحجاج، وانحدر ابن الأشعث بجيشه وانضم إليه خلق كثير في طريقه إلى العراق قاصداً الحجّاج، فلما توسطوا الطريق قالوا: إن خَلْعنا للحجاج خلع لابن مروان فخلعوهما وجددوا البيعة لابن الأشعث فبايعهم على كتاب الله وسنة رسوله وخلع أئمة الضلالة وجهاد الملحدين،وهنا أخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصرة الحجاج وتجهيزه في الخروج إلى ابن الأشعث،وبالفعل وقع القتال بين الطرفين في معركة الزاوية، ثم رجع ابن الأشعث بمن بقي معه ومن تبعه من أهل البصرة، فسار حتى دخل الكوفة فبايعه أهل الكوفة ولحق به كثير من أهل البصرة،وقد شعر عبد الملك بخطورة الأمر، فعرض على أهل العراق موافقته على عزل الحجاج، فرفضوا و رفعوا سقف المطالب، وطالبوا بعزل عبد الملك نفسه من الخلافة،فوقع القتال بينهم في معركة دير الجماجم، واشتد القتال بين الفريقين واستمر القتال لعدة أشهر حتى حلت الهزيمة بابن الأشعث في الرابع من جماد الآخرة سنة ٨٣هـ٧٠٢م، وكانت النهاية هي هزيمة أهل العراق وهروب ابن الأشعث ثم مقتله بعد ذلك، علما بأنه قد شارك عدد كبير من أهل الفضل فى ثورة ابن الأشعث، منهم

العلماء ومنهم القُراء ومنهم العُباد والزُهاد المشهورين بكثرة التعبد، و هناك طائفة أخرى من العلماء عارضوا الثورة و اعتزلوها ولم يروا المشاركة فيها،و لا يختلف اثنان في أن ثورة ابن الأشعث كانت من أخطر الثورات التي قامت ضد بني أمية، بل هي أخطرها بالفعل، ولقد حققت هذه الثورة في البداية أهدافها كما ذكرنا سابقا، ولكن انتهت بالفشل بعد عدم قبول العروض المقدمة من عبد الملك بن مروان.

# Revolution of Abdul Rahman bin al-Ash'ath in (81 AH-700 AD) and its impact on the people of Iraq

**There is no doubt that the era of the Umayyad state has witnessed many Islamic conquests, but it has also witnessed many internal revolutions, and from these revolutions, the revolution of Abdul Rahman Ibn al–Ash'ath is one of the strong revolutions carried out by the people of Iraq. The people of Iraq, Yousef, and all of them turned around Abdul Rahman bin al–Ash'ath, who took over the leadership of this revolution, and did not make this revolution on a doctrinal basis as is the case for the revolutionaries of the Kharijis and Shiites, Between the commander and the governor of Iraq Hajaj ibn Yusuf, has begun this massive revolution from the province of Sjestan, after a dispute between the son of Ashath and pilgrims, and descended the son of the Shasha with his army and joined him a lot of creation on his way to Iraq intended for pilgrims, when they mediated the road said: To the son of Marwan, they took them away and renewed the allegiance to the son of the heretics, and he sold them to the Book of God and the Sunnah of His Messenger And take off the imams of misguidance and the jihad of atheists, and here took Abdul Malik in the preparation of soldiers from the Levant to Iraq in the support of pilgrims and processing in the exit to the son of Ashath, and indeed occurred fighting between the two sides in the battle corner, and then returned to the son of Ashath left with him and the subsequent people of Basra, So he entered the Kufa Vbayeh people of Kufa and the right of many of the people of Basra, and felt Abdul Malik the seriousness of the matter, offered to the people of Iraq consent to isolate the pilgrims, they refused and raised the**

**ceiling demands, and demanded the removal of Abdul Malik himself from the Caliphate, , Fighting between the two sides intensified and the fighting continued for several months until the war ended Zimh son of Shaggy in the fourth year of the afterlife JUMADA 83 H702m The end was the defeat of the people of Iraq and the escape of the son of al-Shasha and then his death after that, knowing that a large number of people participated in the revolution of Ibn al-Ash'at, including scientists, including readers, including worshipers and the most famous worshipers, and there are other scholars opposed the revolution and quit it The revolution of Ibn al-Ash'ath was one of the most dangerous revolutions against illiterate children, but it is the most serious. Indeed, this revolution achieved its objectives at the beginning, as we mentioned earlier, but ended in failure after the proposals submitted by Abdul Malik Ben Marwan.**

# ثورة عبد الرحمن بن الأشعث عام (٨١هـ٧٠٠م) وأثرها على أهل العراق

لا شك أن عصر الدولة الأُموية قد شهد فتوحات إسلامية كثيرة، ولكنه أيضا قد شهد كثيرًا من الثورات الداخلية، ومن هذه الثورات، ثورة عبد الرحمن ابن الأشعث فهى إحدى الثورات القوية التى قام بها أهل العراق، وقد قام أهل العراق بهذة الثورة على واليهم الحجاج بن يوسف، والتفوا جميعا حول عبد الرحمن بن الأشعث [1] الذي تولى قيادة هذة الثورة، ولم تقم هذه الثورة على أساس مذهبي كما هو الحال بالنسبة لثورات الخوارج والشيعة، بل دفع إليها الكراهية المتبادلة بين قائدها وبين والي العراق الحجّاج بن يوسف .

بداية الأحداث:

قد بدأت هذه الثورة العارمة من إقليم سجستان، ذلك الإقليم الذي أتعب الأمويين وكان كثير الانتقاض والتمرد عليهم[2]، فبعد أن كُسرت شوكة الخوارج سنة ٧٨هـ-٦٩٧م قرر الحجاج أن يؤدب رتبيل، فأرسل الحجّاج إليه جيشاً بقيادة عبيد الله بن أبي بكرة سنة ٧٩هـ-٦٩٨م .، وأمره الحجاج أن يتوغل في بلاد رتبيل وأن يدك حصونهم وقلاعهم، ففعل ما أمر به الحجّاج، وتمكن من هزيمة رتبيل واجتياح بلاده وغنم غنائم كثيرة ولكن رتبيل أخذ في التقهقر فأطمع المسلمين في اللحاق به حتى وصلوا قريباً من مدينته العظمى، عند ذاك بدأ الترك يغلقون على المسلمين الطرق والشعاب وحاصروهم وقُتل عامة جيش

---

(1) عبد الرحمن بن محمد الكندي كان قائداً عسكرياً أموياً من أهل الكوفة وأشرافها و قد ضم عددا كبيراً من البلدان لصالح الدولة الأموية، ولد عبد الرحمن في الكوفة في بيت من أشرافها فأبوه محمد بن الأشعث، أحد وجوه كندة وأمه أم عمران بنت سعيد بن قيس الهمداني و قد وُلد مترفاً غنياً، الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) الوافي بالوفيات،المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،الناشر: دار إحياء التراث – بيروت،عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م،عدد الأجزاء: ٢٩(١٣٤/١٨).

(2)عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي ص ٥٠٦.

المسلمين [1]، وهنا قرر الحجّاج تأديب رتبيل وعقابه[2]، لاسيما وأنه امتنع عن دفع الجزية، فاستأذن عبد الملك بن مروان في أن يبعث جيشاً كبيراً بلغ عدده أربعين ألف مقاتل من أهل الكوفة وأهل البصرة وأنفق عليه ألفي ألف (مليونين) سوى أعطيات المقاتلين وبالغ في تجهيزه بالخيول الروائع والسلاح الكامل، وسُمي هذا الجيش بجيش الطواويس، وقد نبه إسماعيل بن الأشعث الحجّاج إلى خطورة تولية عبد الرحمن قيادة الجيش، حيث قال له عم ابن الأشعث إسماعيل بن الأشعث: "لا تبعثه فإني أخاف خلافه، والله ما جاز جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاة عليه طاعة وسلطان"، ولكن يبدو أن الحجّاج قد خانه ذكاؤه هذه المرة، أو كان مفرطاً في ثقته بنفسه، فلم يسمع نصيحة إسماعيل ورد مستخفاً بعبد الرحمن، وبالفعل تحرك الجيش وعلم رتبيل بقدومه، وكان ذلك عام ٨٠ هـ-٦٩٩م، وهنا كتب رتبيل إلى عبد الرحمن يعتذر إليه مما حل بالمسلمين في بلاده سابقا،ويطلب منه الصلح ولكن عبد الرحمن لم يقبل، وأخذ يتوغل في بلاده، وهنا حاول رتبيل أن يكرر مع عبد الرحمن ما صنعه مع عبيد الله بن أبي بكرة، فأخذ يخلي البلاد والحصون أمامه ليكرر ما فعله سابقا، ولكن ابن الأشعث فطن إلى ذلك، وكان كما يقول الطبري: "لكلما حوى بلداً بعث إليه عاملاً وبعث معه أعواناً، ووضع البرد فيما بين كل بلد وبلد، وجعل الارصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف، حتى إذا جاز من أرضه أرضاً عظيمة، وملأ يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة، حبس الناس عن الدخول في أرض رتبيل"، وقال:" نكتفي بما أصبناه العام في بلادهم، حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها، ثم نتعاطى في العام المقبل ما وراءها، ثم لم نزل ننتقصهم في كل طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم، وفي أقصى بلادهم وممتنع حصونهم، ثم لا نزايل بلادهم حتى يهلكهم الله " وهذه خطة سديدة تدل على ذكاء وحنكة وتجربة وأنه تعلم مما حدث مع عبيد الله بن أبي بكرة وبهذا استطاع الجيش أن يحقق نصرا عظيما فى بلاد الترك وتمكن من السيطرة على بعض البلاد، وهكذا رأى ابن الأشعث أن يتوقف عن التوغل في تلك البلاد حتى يصلحوا ما بأيديهم من البلاد المفتوحة،وأن يقيموا

---

(1)الطبرى: تاريخ الرسل والملوك (٧/ ٢١٩)

(2)عبد الشافي محمد عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٥٠٧.

فى هذة البلاد حتى يتقووا إلى العام المقبل، وقد كتب عبد الرحمن إلى الحجّاج بما حققه من فتوحات وبخطته التي اعتزم تنفيذها، ولكن الحجّاج رفض هذا الرأي واستهجنه وكتب إلى ابن الأشعث ثلاثة كتب عل التوالي سفه فيها رأي ابن الأشعث ورماه فيها ببعض الأوصاف السيئة، فكان يستهجن رأيه في ذلك ويستضعف عقله ويصفه بالجبن والنكول عن الحرب، ويأمره حتما بدخول بلاد رتبيل، وكتب في جملة ذلك "يا ابن الحائك الغادر المرتد، امض إلى ما أمرتك به من الإيغال في أرض العدو وإلا حل بك ما لا يطاق."[1] وهدده بالعزل أيضا، وكان الحجاج يبغض ابن الأشعث: ويقول هو أهوج أحمق حسود، وأبوه الذي سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقاتله، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل حتى قتله،، وكان عبد الرحمن يشعر بأن الحجاج يبغضه، وكان يضمر للحجاج السوء و يتمنى زوال الملك عنه، وهنا غضب ابن الأشعث من كتاب الحجاج وقال: "يكتب إلى بمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندي ولا من بعض خدمي لخوره وضعف قوته"وبذلك أشعل الحجاج نار الفتنة وعجل بأسباب الثورة عليه، ثم إن ابن الأشعث جمع رءوس أهل العراق وقال لهم: إن الحجاج قد ألح عليكم في الإيغال في بلاد العدو، وهي البلاد التي قد هلك فيها إخوانكم بالأمس، وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد، فانظروا في أمركم أما أنا فلست مطيعه ولا أنقض رأيا رأيته بالأمس، ثم قام فيهم خطيبا فأعلمهم بما كان رأى من الرأى له ولهم، و هو إصلاح البلاد التي فتحوها، وأن يقيموا بها حتى يتقووا بغلاتها وأموالها ويخرج عنهم فصل البرد ثم يسيرون في بلاد العدو فيفتحونها بلدا بلدا إلى أن يحصروا رتبيل ملك الترك في مدينة العظماء، ثم طلب منهم الرأي، وانفتح الباب لكل من أراد أن يتكلم، فتكلم عامر بن واثلة الكناني وكان شاعراً خطيباً فكان مما قال: "فإن الحجاج والله ما يرى بكم إلا ما رأى القائل الأول إذ قال لأخيه: احمل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك، وإن نجا فلك" وبعد كلامه دعا الناس إلى خلع الحجّاج ومبايعة عبد الرحمن بن الأشعث، فثار إليه الناس فقالوا: "بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع"[2]

---

(1)الطبرى: تاريخ الرسل والملوك (٧/ ٢٢٥).

(2)ابن كثير: البداية والنهاية (٣٧/٩).

فبايعهم ابن الأشعث على خلع الحجّاج والقتال معه حتى ينفي الله الحجّاج من العراق، ولم يذكر خلع عبد الملك[1]، ومن هنا بدأت ثورة ابن الأشعث وهذه الثورة وإن لم تكن لها جذور بعيدة أو أن تسبقها خطوات إعداد كبيرة إلا أنها كانت من أخطر الثورات التي قامت على الدولة الأموية أو أخطرها، حيث هددت كيان الخلافة بالزوال واضطرت الخليفة إلى مساومة أصحابها بما لم يساوم به غيرهم من أصحاب الثورات السابقة، وانحدر ابن الأشعث بجيشه وانضم إليه خلق كثير في طريقه إلى العراق قاصداً الحجّاج، فلما توسطوا الطريق قالوا: إن خَلْعنا للحجاج خلع لابن مروان فخلعوهما وجددوا البيعة لابن الأشعث فبايعهم على كتاب الله وسنة رسوله وخلع أئمة الضلالة وجهاد الملحدين، فلما جاء الخبر الحجّاج أصيب بالهلع والذعر، فكتب إلى عبد الملك يخبره بالأمر ويطلب منه المدد، فتوالت الكتب بينه وبين عبد الملك وتوالى إرسال الجيوش من عبد الملك في كل يوم إلى الحجّاج . وجاء الحجاج حتى نزل البصرة، وكتب المهلب بن أبي صفرة إلى ابن الأشعث يقول له: "إنك يا ابن الأشعث قد وضعت رجلك في ركاب طويل، أبق على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، انظر إلى نفسك فلا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها، فإن قلت أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه من الناس، فلا تعرضها لله في سفك الدماء، أو استحلال محرم والسلام عليك". وكتب المهلب إلى الحجاج: "أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك مثل السيل المنحدر من علو ليس شيء يرده حتى ينتهي إلى قراره، وإن لأهل العراق شدة في أول مخرجهم، وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فليس شيء يردهم حتى يصلوا إلى أهليهم وينبسطوا إلى نسائهم ويشموا أولادهم ثم واقعهم عندها فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله".[2] ولكن لم يعر ابن الأشعث نصح المهلب أدنى اهتمام[3] .

---

(1)الطبرى: المصدر السابق(٧/ ٢٢٤).

(2)الطبرى: تاريخ الرسل والملوك(٦/٣٣٩).

(3)علي محمد محمد، الدولَة الأمويَّة عَواملُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار،نقلا عن عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد الخرعان: أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، ص٥٤٧ .

معركة الزاوية: ثم أخذ عبد الملك

في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصرة الحجاج وتجهيزه في الخروج إلى ابن الأشعث، وعصى رأي المهلب فيما أشار به عليه، وكان في مشورته النصح والصدق، وجعلت كتب الحجاج لا تنقطع عن عبد الملك بخبر ابن الأشعث صباحا ومساء، أين نزل ومن أين ارتحل، وأي الناس إليه أسرع، وجعل الناس يلتفون على ابن الأشعث من كل جانب، حتى قيل إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل، وخرج الحجاج في جنود الشام من البصرة نحو ابن الأشعث، و قد قرر الحجاج مواجهة ابن الأشعث، ومن معه قبل دخولهم العراق، فأرسل الكتائب تلو الكتائب ولكن لم تستطع إيقاف زحف ابن الأشعث فهزمها، وتقدم حتى دخل البصرة بعد أن خرج منها الحجّاج فاراً بنفسه ومن معه من أهل الشام، ونزل بالزاوية،[1] عند ذلك أيقن الحجّاج بصدق المهلب في نصحه له فقال: لله أبوه، أي صاحب حرب هو! أشار علينا بالرأي فلم نقبل [2]، وفي شهر المحرم عام ٨٢هـ-٧٠١م، كانت وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج وكان أول يوم لأهل العراق على أهل الشام، ثم توافقوا يوما آخر فحمل سفيان بن الأبرد أحد أمراء أهل الشام على ميمنة ابن الأشعث فهزمها وقتل خلقا كثيرا من القراء من أصحاب ابن الأشعث في هذا اليوم، وخر الحجاج لله ساجدا بعد ما كان جثى على ركبتيه وسل شيئا من سيفه وجعل يترحم على مصعب بن الزبير ويقول: ما كان أكرمه حتى صبر نفسه للقتل،[3] قال الواقدي: ولما التقى جيش الحجاج وجيش ابن الأشعث بالزاوية جعل جيش الحجاج يحمل عليهم مرة بعد مرة، فقال القراء: أيها الناس ليس الفرار من أحد بأقبح منكم فقاتلوا عن دينكم ودنياكم. وقال سعيد بن جبير نحو ذلك، وقال الشعبي: قاتلوهم على جورهم واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة، ثم قاتلوا فانهزموا ولم يقاتلوا كثيرا علما بأن هناك طائفة كبيرة من أهل العلم والصلاح قد اشتركوا فى ثورة ابن الأشعث بسبب ظلم الحجاج

---

(1) الزاوية: لفظ يطلق على عدة أماكن والمراد به هنا موضع قرب البصرة، الحموي:معجم البلدان (٣/ ١٢٨).

(2) الطبرى:: تاريخ الرسل والملوك (٣٤٦/٦)

(3)ابن كثير: البداية والنهاية (٤٠/٩)

وانتهاكه للحرمات، وهذا ما سنوضحه فى الصفحات التالية بعد معركة دير الجماجم، وكان ابن الأشعث يحرض الناس على القتال، فلما رأى ما الناس فيه أخذ من اتبعه وانسحب، ثم رجع ابن الأشعث بمن بقي معه ومن تبعه من أهل البصرة، فسار حتى دخل الكوفة فبايعه أهل الكوفة ولحق به كثير من أهل البصرة، وانضم إليه أهل المسالح[1] والثغور.[2] وقد قيل أن الحجاج قتل يوم الزاوية أحد عشر ألفا [3]، ثم كانت وقعة دير الجماجم في شعبان من نفس السنة.

معركة دير الجماجم:[4]

لما رأى أهل الشام وبنو أمية قوة ابن الأشعث أشاروا على عبد الملك بعزل الحجّاج وقالوا: "إن كان إنما يرضي أهل العراق أن تنزع عنهم الحجّاج فانزعه عنهم، تخلص لك طاعتهم" فبعث عبد الملك ابنه عبد الله وأخاه محمد بن مروان بالجيش إلى العراق وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجّاج عنهم، وأن يجري عليهم العطاء، وأن ينزل ابن الأشعث أي بلد شاء من العراق ويكون والياً، فإن قبلوا ذلك نزعنا عنهم الحجّاج ويكون محمد بن مروان مكانه على العراق، وإن أبوا فالحجّاج أمير الجميع وولي القتال [5]، ولم يكن أمر أشق على الحجّاج ولا أغيظ له ولا أوجع لقلبه من هذا الأمر، فلقد أحزنه وعزّ عليه أن يضحي به عبد الملك بن مروان، بعد كل ما قدمه له من خدمات [6]، وكتب إليه يذكره بما حدث من أهل العراق مع عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال له: يا

---

(1) مَسالِحُ: جمع مَسلَحة والمَسْلَحُ: القومُ المسلَّحون في ثغرٍ أَو مخفرٍ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط

(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة، ص٤٤٢ .

(2)الذهبى: تاريخ الإسلام(٦/٥)

(3)الطبرى: تاريخ الرسل(٦/٣٨٠)

(4) تقع دير الجماجم على سبعة فراسخ من الكوفة من طريق البصرة. الحموي:معجم البلدان(٢/٥٠٣).

(5)الطبرى:: المصدر السابق(٧/٢٤٥).

(6) عبد الشافى محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي ص.٥١٥.

أمير المؤمنين، والله لئن أعطيت أهل العراق نزعي لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفونك ويسيروا إليك، ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك، وأخذ يعدد له بعض مواقف أهل العراق، ومما قاله له " ألم ترى وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر على عثمان بن عفان، فلما سألهم ما يريدون قالوا: نزع سعيد بن العاص، فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه إن الحديد بالحديد يفلح، كان الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك". فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق كما أمر، لأن عبد الملك كان مقتنعاً بالفكرة، وأن مصلحة الدولة عنده فوق كل اعتبار ورأى في ذلك منع الحرب، ولكن من حسن حظ الحجّاج أنه لما عرضت الفكرة على أهل العراق رفضوها بقوة،وبالفعل عرض عبد الله بن عبد الملك ومحمد بن مروان الأمر على أهل العراق، فقالوا ننظر فى أمرنا غدا ونرد عليكم الخبر عشية ثم انصرفوا فاجتمع جميع الأمراء إلى ابن الأشعث فقام فيهم خطيبا وندبهم إلى قبول ما عرض عليهم من عزل الحجاج عنهم وبيعة عبد الملك وإبقاء الأعطيات وإمرة محمد بن مروان على العراق بدل الحجاج،ومما قاله لهم " فقد أعطيتم أمرا انتهازكم اليوم إياه فرصة، ولا آمن أن يكون على ذي الرأي غدا حسرة" فنفر الناس من كل جانب وقالوا: لا والله لا نقبل ذلك، نحن أكثر عددا وعددا، وهم في ضيق من الحال وقد حكمنا عليهم وذلوا لنا، والله لا نجيب إلى ذلك أبدا. ثم جددوا خلع عبد الملك، وكان الأولى بابن الأشعث أن لا ينساق لما تطلبه الجماهير، فقد ضاعت فرصة كبيرة في التخلص من الحجّاج وكان يمكنهم رفع سقف المطالب والضغط على عبد الملك حتى يستجيب لرفع المظالم، وإقامة العدل، والتقيد بالكتاب والسنة ولكن يبدو أن بعض القواعد الشرعية كانت غائبة عن كثير منهم، فلم يفكروا فى مآلات الأمور ولم يحسنوا الترجيح بين المصالح والمفاسد، لقد كان من الأولى أن يحافظ هؤلاء على وحدة الأمة، وعلى دماء المسلمين، فالشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها, وتعطيل المفاسد وتقليلها، إذن فلابد من مراعاة قاعدة تفويت أدنى المصلحتين لتحصيل أعلاهما. و قاعدة ارتكاب أخف المفسدتين لتفويت أشدهما.وقاعدة اعتبار المآلات. لكن من الواضح أن مبايعة أهل العراق لابن الأشعث جاءت في لحظات سيطرت فيها العاطفة الثورية ولم تكن نتيجة معرفة تامة بالواقع وموازين القوى الحقيقية، وهنا يلاحظ أن الحماس الممزوج بالعاطفة لا يتلائم

مع منهجية التغيير الصحيحة، فلقد توحد هؤلاء و تجمعوا يرفعون بعض الشعارات الممزوجة بأحلام اليقظة، يدفعهم الحماس وتحركهم العاطفة، دون معرفة وبصيرة بحقائق الواقع ومآلات الأمور وعواقبها، و لا شك أن حلم التغيير يراود كثيرا من المخلصين ؛ويتمنى هؤلاء تغيير الواقع المملوء بالظلم وانتشار الفساد، ولكن يتحتم على الجميع أن يكون على دراية كافية بمنهج التغيير الصحيح الموافق للضوابط الشرعية والقواعد التى ذكرناها آنفا،ثم لابد من دراسة عميقة للتاريخ الإسلامى وما حوته صفحات التاريخ من أحداث وثورات نجح بعضها وفشل البعض الأخر، فلابد من تحليل الأحداث التاريخية ودراسة أسباب النجاح والفشل فلقد كانت هذة الثورة فى وقت من الأوقات هى أقوى بل وأنجح الثورات فى التاريخ الأُموى، وكان بإمكان أصحابها أن يقوموا بتغيير الواقع الذى يعيشونه إلى واقع أفضل بكثير، ولكن فى لحظة معينة أخطأ الثوار وأخطأ أيضا قائدهم فكانت النتيجة أن سلم محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك قيادة الجيوش الأموية للحجّاج وقالا: شأنك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك فقد أمرنا أن نسمع لك ونطيع،[1] وبدأ الفريقان يستعدان للقتال، واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم والقراء من أهل المصرين لقتال الحجاج، وجاءت الحجاج أيضا أمداده من قبل عبد الملك وخندق كل من الطائفتين على نفسه وحول جيشه خندقا يمتنع به من الوصول إليهم، غير أن الناس كان يبرز بعضهم لبعض في كل يوم فيقتتلون قتالا شديدا في كل حين، واشتد القتال بين الفريقين واستمر القتال لعدة أشهر حتى حلت الهزيمة بابن الأشعث في الرابع من جماد الآخرة سنة ٨٣هـ٧٠٢م [2]، ثم دارت معركة أخرى بعدها في مسكن في شعبان من نفس السنة، فهُزم ابن الأشعث أيضاً، ثم ولى هارباً إلى رتبيل فى سجستان، ولكن الحجّاج هدد رتبيل إن لم يسلم إليه ابن الأشعث ليغزون بلاده بألف ألف مقاتل، فرضخ للتهديد وعزم على تسليمه إليه، فلما أحسَ ابن الأشعث بغدر رتبيل ألقى بنفسه من فوق القصر الذي كان فيه، فمات فأخذ رأسه وأرسلها إلى الحجّاج وكان ذلك سنة ٨٥هـ، وقيل أن رتبيل أرسله مقيدًا إلى الحجاج فلما قرب ابن الأشعث من العراق،

---

(1)الطبرى: تاريخ الرسل (٧/ ٢٤٦).

(2)الطبرى: المصدر السابق (٧/ ٢٥٤)

ألقى نفسه من قصر خراب أنزلوه فوقه فهلك وقيل أنه أُصيب بمرض السّل حتى مات فأرسل رتبيل رأسه إلى الحجاج، وهكذا انتهت حياة ابن الأشعث الذي قاد أخطر ثورة ضد عبد الملك بن مروان، أريقت فيها دماء عشرات الألوف من المسلمين [1]،وهي ثورة دفعت إليها الأحقاد الشخصية المتأصلة في نفس ابن الأشعث والحجّاج كل منهما للآخر من ناحية، وبغض أهل العراق للحكم الأموي من ناحية ثانية، ومظالم الحجّاج العظيمة التي دفعت بجمهور كبير من العلماء للانضمام للثورة والتخلص من الطاغية الحجّاج.

موقف العلماء من ثورة عبد الرحمن بن الأشعث

لقد شارك عدد كبير من أهل الفضل فى ثورة ابن الأشعث، منهم العلماء ومنهم القُراء ومنهم العُباد والزُهاد المشهورين بكثرة التعبد، ومنهم من كان يحرض على الحجاج ولكنه لم يخرج مع ابن الأشعث ولم يبايعه، ويذكر خليفة بن خياط، أن عددهم بلغ خمسمائة عالم، ولعل هذا العدد يشمل العلماء والقراء وأهل الصلاح،[2] فقد ذكر الذهبى أن أنس بن مالك رضي الله عنه:الصحابي الجليل، قد كان ممن يؤلب على الحجّاج ويدعو إلى الانضمام إلى ابن الأشعث،[3] ويذكر ابن كثير أن الحجاج توهم أن أنس بن مالك كان له مداخلة فى الأمر[4]، ومن الذين شاركوا أبو الشعثاء سليم بن أسود المحاربي رحمه الله، فقد شارك مع ابن الأشعث، وقيل قتل يوم الزاوية، وعبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله، كان من كبار المشاركين في تلك الحركة المحرضين على القتال فيها، وتوفي بوقعة الجماجم حيث اقتحم به فرسه الفرات فغرق رحمه الله تعالى[5]، وكذا الإمام الشعبي رحمه الله حيث قال: فلم أزل

---

(1) الذهبى: سير أعلام النبلاء (٥/١٠٤) الطبرى: المصدر نفسه (٧/ ٢٨٧) علي محمد محمد: الدولَة الأمويَّة عَواملُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار(١/٦٤٢)– حسن إبراهيم حسن،تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي،الناشر:دار الجيل– بيروت،الطبعة الرابعة عشر،مكتبة النهضة المصرية،٤أجزاء (١/٢٤٨).

(2) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة ص.٢٨٦، ٢٨٧.

(3) الذهبى: سير أعلام النبلاء (٤/ ١٧٩).

(4)ابن كثير:البداية والنهاية(٩/٨٩).

(5) ابن سعد الطبقات (٦/ ١١٣).

عنده . أي الحجّاج . بأحسن منزلة حتى كان شأن ابن الأشعث، فأتاني أهل الكوفة، فقالوا: يا أبا عمرو، إنك زعيم القراء، فلم يزالوا حتى خرجت معهم،[1] ومنهم سعيد بن جبير، ممن شارك مع ابن الأشعث وكان يحضض على القتال، ونجا من القتل وتوارى عن الحجّاج مدة ولكن تمكن منه عندما قبض عليه والي مكة وأرسله إليه فقتله الحجّاج سنة ٩٤هـ-٧١٣م وقد كان لمشاركة العلماء في هذه الحركة بهذا الحجم . أثر كبير على الحركة، كما كان للعلماء المشاركين أثر كبير في ميدان القتال، فكانت لهم كتيبة خاصة بهم تسمى كتيبة القراء وقد لقي الحجّاج وجيشه عنتا ومشقة من كتيبة القراء، هذا وقد انضم إلى ابن الأشعث طوائف كثيرة وفئات متنوعة، تحركها دوافع مختلفة، ولكن الدوافع التى حركت العلماء كانت دوافع شرعية بحسب ما وصل إليه اجتهادهم، وقد كان القاسم المشترك لكل هذه الدوافع شخصية الحجّاج، الظالمة الجائرة المتغطرسة، المتعطشة لسفك الدماء ولذلك كان العلماء ينقمون على الحجّاج تعديه لأعظم الحدود فى الإسلام وانتهاكه لحرماته،وتساهله فى سفك الدماء وكانوا ينقمون عليه سوء معاملته وظلمه للجميع بمن فيهم العلماء،[2] ولقد وصل الحجاج فى إسرافه في القتل إلى أنه يقتل بأدنى شبهة فقد روى أبو داود بسند صحيح عن عاصم قال: سمعت الحجّاج يقول: اتقوا الله ما استطعتم ليس فيها مثنوية،[3] واسمعوا وأطيعوا ليس فيها مثنوية لأمير المؤمنين عبد الملك والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب من أبواب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلت لي دماؤهم وأموالهم، والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حلالاً[4].وقال ابن كثير معلقاً على بعض تجاوزات الحجّاج مما يبين سبب استهانته بالقتل: فإن الحجّاج كان

---

(1) الذهبى: المصدر السابق، (٤/ ٣٢٧، ٣٣٦)ابن سعد: المصدر السابق (٦/ ٢٦٥).

(2) علي محمد محمد، الدولَة الأمويَّة عَواملُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار،نقلا عن:عبد الله الخرعان، أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية ص ٥٧٧.

(3) يعني: اسمعوا وأطيعوا بدون استثناء، ومعلوم أن السمع والطاعة لولاة الأمور فيها استثناء وليست على إطلاقها، بل ذلك في حدود طاعة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، فيسمع له ويطاع في حدود طاعة الله ورسوله، وليس على الإطلاق؛ انظر: شرح سنن أبى داود، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر(٢٤/٥١٩)

(4) سنن أبي داود (٤/ ٢١٠) و صححه الألبانى

عثمانياً أموياً، يميل إليهم ميلاً عظيماً، ويرى خلافهم كفر، ويستحل بذلك الدماء ولا تأخذه في ذلك لومة لائم وقال في موضع آخر: أعظم ما نقم عليه وصح من أفعاله سفك الدماء وكفى به عقوبة عند الله عز وجل، [1]وقد أنكر العلماء على الحجّاج هذا الإسراف في القتل، فروي عن الإمام عبد الرحمن بن أبي نعم أنه قال للحجّاج: لا تسرف في القتل إنه كان منصوراً فقال الحجّاج: والله لقد هممت أن أروي الأرض من دمك. فقال: إن من في بطنها أكثر ممن في ظهرها [2]، وكان جواب سعيد بن جبير للحجّاج عندما سأله عن رأيه فيه فقال: نعم ظهر منك جور في حد الله وجرأة على معاصيه بقتلك أولياء الله [3].ومن تجاوزات الحجّاج تطاوله على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوء تعامله مع العلماء، فلقد تجاوز فى معاملته مع ابن عمر، وابن الزبير و أسماء بنت الصديق رضي الله عنهم جميعاً، و من ذلك تطاوله على عبد الله بن مسعود وهو متوفي رضي الله عنه فعن الصلت بن دينار قال سمعت الحجاج على منبر واسط يقول: عبد الله بن مسعود رأس المنافقين، لو أدركته لأسقيت الأرض من دمه. قال وسمعته على منبر واسط وتلا هذه الآية "هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي" قال: والله إن كان سليمان لحسودا. وهذه جراءة عظيمة تفضي به إلى الكفر: قبحه الله وأخزاه، وأبعده وأقصاه.[4] وقد رُوى أن الحجاج

---

(1)ابن كثير:البداية والنهاية (١٢/ ٥٠٧).

(2) الأصبهانى: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،الناشر: السعادة –، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، عدد الأجزاء: ١٠(٧٠/٦)

(3) ابن الجوزى: صفة الصفوة (٣/ ٤٥).

(4) ابن كثير: البداية والنهاية (١٢٩/٩) قال ابن كثير رحمه الله: كان ناصبيا يبغض عليا وشيعته في هوى آل مروان بني أمية، وكان جبارا عنيدا، مقداما على سفك الدماء بأدنى شبهة. وقد روي عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر، فإن كان قد تاب منها وأقلع عنها، وإلا فهو باق في عهدتها، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه، فإن الشيعة كانوا يبغضونه جدا لوجوه، وربما حرفوا عليه بعض الكلم، وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر، وكان يكثر تلاوة القرآن، ويتجنب المحارم، ولم يشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج، وإن كان متسرعا في سفك الدماء، فالله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وساترها، وخفيات الصدور وضمائرها. وقال أيضا:وأعظم ما نُقم

أرسل إلى سهل بن سعد رضى الله عنه يريد إذلاله فِي سنة أربع وسبعين، فقال: ما منعك من نصر أمير المؤمنين عُثْمَان؟ قال: قد فعلت. قال: كذبت. ثم أمر به فخُتم [1]فِي عنقه، وخُتم أيضا فِي عنق أنس حتى ورد كتاب عَبد المَلِك فيه، وخُتم فِي يد جابر بن عبد الله لأنه لم يمد يده إليه فى السلام، فكان يريد إذلالهم بذلك وأن يجتنبهم الناس ولا يسمعوا منهم.[2] هذا فضلا عن تأخيره للصلاة عن وقتها و مع تأخيره الصلاة فهو لا يقبل تنبيه أحد من العلماء أو إبداء النصح له في ذلك وهذا مأخذ آخر أخذه العلماء على الحجّاج وهو عدم قبوله لقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبهذا يتضح لماذا شارك بعض العلماء و الفقهاء والقراء فى ثورة ابن الأشعث، وإن كان بداية الفتنة سببها الخلاف الذى حدث بين الحجاج وابن الأشعث حول التوغل فى بلاد الترك،إلا أن ظلم الحجاج وبغيه هو الأصل الذى تحركت الجماهير من أجله،

معارضة بعض العلماء لثورة ابن الأشعث:

هناك طائفة أخرى من العلماء عارضوا الثورة و اعتزلوها ولم يروا المشاركة فيها، ومن أبرز هؤلاء أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي، وأبو قلابة الجرمي، فلم يشارك وكان يعتب على غيره ممن شارك، ومنهم إبراهيم النخعي، فلم يشارك وكان يعيب على سعيد بن جبير

---

عليه وصح من أفعاله سفك الدماء، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل، قلت، والذى يظهر من كلام ابن كثير رحمه الله، أن من كفروا الحجاج كفروه بسبب بعض أقواله الشنيعة التى يكفر قائلها، وليس بسبب سفكه للدماء، والله أعلم .

(1) وهذا الختم جاء في بعض الروايات أنه عبارة عن خيط فيه رصاص، انظر كتاب " المحن " لأبي العرب التميمي ( ص ٣٣٤ ) . ويحتمل أن يكون المراد به هو " الوسم " والوسم في اللغة هو الكي بحديدة تترك أثر علامة، أو كتابة، على مكان الكيّ .

(2) المزى: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠، عدد الأجزاء: ٣٥(٢٩٠/١٢) لكن هذه الروايات لا يمكن الجزم بصحتها، فأكثر كتب التاريخ تنقلها عن الواقدي، والواقدي وإن كان يستأنس به في الروايات التاريخية إلا أنه ليس بثقة ؛ فروايته ليست بحجة.

مشاركته فيها، وقد قيل له أين كنت يوم الزاوية؟ قال: في بيتي. قالوا: فأين كنت يوم الجماجم؟ قال: في بيتي. قالوا: فإن علقمة شهد صفين مع علي، فقال: بخ بخ من لنا مثل علي بن أبي طالب ورجاله، وممن لم يشارك في حركة ابن الأشعث أيوب السختياني، ومنهم طلق بن حبيب، فكان معتزلاً الفتنة وكان يقول: اتقوها بالتقوى، ومنهم مطرف بن عبد الله الشخير فقد امتنع عن المشاركة في هذه الفتنة، وحين جاءه ناس يدعونه للمشاركة امتنع، فلما أكثروا عليه قال: أرأيتم هذا الذي تدعوني إليه، هل يزيد على أن يكون جهاداً في سبيل الله؟ قالوا: لا. قال: فإني لا أخاطر بين هلكة أقع فيها وبين فضل أصيبه، ومنهم مجاهد بن جبر ويقال ابن جبير . فإنه لم يشارك وحين دعي للمشاركة قال لمن دعاه: عُدّه بابا من أبواب الخير تخلفت عنه، ومنهم خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي ومحمد بن سيرين و يُعد الحسن البصري واحداً من العلماء الثقات الذين عايشوا هذة الفتنة لكنه كان يدعوا إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف وينهي عن الإثارة والفرقة، ويدعو إلى السمع والطاعة للولاة وكان يرى وجوب الموازنة بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووحدة الجماعة[1]، ولقد عاصر الحسن البصري معظم فترات الحكم الأموي، وتأثر بالواقع السياسي في هذه الفترة، فأصبح يمثل مدرسة سياسية في عصره، فهو يرى أن حكم بني أمية فيه ظلم وجور، ولكنهم في نفس الوقت يملكون القوة العسكرية، وموازين القوى في صالحهم، كما أن الفئة الراغبة في التغيير والشاكية من الظلم، ينقصها التنظيم والإعداد والقوة والصبر، ويرى أن الذين يحملون راية الخروج على حكم بني أمية إما مخلص لدينه ولكنه لا يصلح للحكم ولا يقدر على إحداث التغيير، وإما رجال يستخدمون الدين والدعوة للتغيير لأغراض دنيوية، منها حبهم للسلطة والحكم، فليسوا بأحسن حال من الأمويين، وكان إذا قيل له ألا تخرج فتغير فكان يقول: إن الله إنما يغير بالتوبة ولا يغير بالسيف، ومن أقواله: يا أيها الناس إنه والله ما سلط الله عليكم الحجّاج إلا عقوبة فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف ولكن عليكم السكينة والتضرع، وقدم عليه جماعة من العلماء يناقشونه في الخروج مع ابن الأشعث على الحجّاج، ويحاولون إقناعه بالخروج مع ابن الأشعث على الحجّاج، ولكنه رفض الخروج

(1) روضة جمال الخضري:حياة الحسن البصري وسيرته العلمية،الناشر:دار الكلم الطيب،دمشق، بيروت، ص١٩٤.

وقال: أرى أن لا تقاتلوه فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم ولكنهم لم يسمعوا كلامه ولم يأخذوا برأيه فخرجوا مع ابن الأشعث فقتلوا جميعاً [1] وهكذا اجتهد العلماء فى الخروج فمنهم من أصاب ومنهم من اخطأ،وقد ترتب على فشل ثورة ابن الأشعث ازدياد ظلم الحجاج وبطشه .[2] ومن اللافت للنظر أن العلماء الذين عاصروا هذه الفتنة وقد اختلفوا فى حكم المشاركة فيها، لم يطعن بعضهم فى بعض أو يخون بعضهم بعضا وذلك لأنهم رغم اختلافهم إلا انهم يعلمون أن مسألة المشاركة هذه، من مسائل الاجتهاد، فهى مسألة اجتهادية ليس فيها مخالفة للنصوص أو الإجماع أو القياس الجلى، فالعلماء لا تحركهم العواطف ولكن تحركهم الضوابط الشرعية .

أسباب فشل ثورة ابن الأشعث:

لا يختلف اثنان في أن ثورة ابن الأشعث كانت من أخطر الثورات التي قامت ضد بني أمية، بل هي أخطرها بالفعل، ولقد حققت هذه الثورة في البداية أهدافها كما ذكرنا سابقا، ولكن انتهت بالفشل بعد عدم قبول العروض المقدمة من عبد الملك بن مروان، ومن أهم أساب فشلها ما يلي:

١- رفع سقف المطالب من المطالبة بعزل أو خلع الحجاج بن يوسف، إلى خلع أمير المؤمنين عبد الملك نفسه،وهنا لم يتمكن العلماء من السيطرة على مسار تلك الحركة بعد أن عرض عبد الملك على الثائرين عزل الحجّاج.

---

(1) الذهبى: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى (٧/ ١٧٢) محمد رواس قلعجي، موسوعة فقه الحسن البصري، الناشر:دار النفائس (١/ ١١).

(2) قال أحمد بن عبد الحليم فى منهاج السنة: وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهُزموا وهُزم أصحابهم، فلا أقاموا دينًا ولا أبقوا دنيا.والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم، ومع هذا لم يُحمد ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدْرًا عند الله وأحسن نية من غيرهم. أ.هـ.

٢- تقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، فكانت هناك بعض الدوافع المذهبية والإقليمية، هي التي دفعت البعض إلي القيام بالثورة للتخلص من بني أمية.

٣- عدم امتلاك قادة الثورة لرؤية واضحة متكاملة: فقد أصبح العلماء يسيرون في طريق غير واضح المعالم، سوى تحقيق الانتصار على جيوش الأُمويين،

ولكن ماذا بعد؟ من سيتولى أمر الأمة ؟ هل سيستسلم أهل الشام؟ وماذا عن بقية الأقطار الإسلامية التابعة للخلافة الأموية؟ وماذا عن القوة العسكرية والجيوش التابعة لبني أمية؟

كل هذه الأسئلة وغيرها لم تُدرس دراسة متأنية، بل لعلها لم تدرس أصلا.

٤- ذكاء الخليفة عبد الملك، فهو يعرض حلولا للصلح ويُلبي طلب أهل العراق في عزل الحجّاج من أجل حقن الدماء والحفاظ على وحدة الأمة،وفي ذات الوقت يقوم بإرسال الجيوش إلى العراق للحجّاج، و هنا يظهر دور الخليفة وفطنته فهو يوافق على عزل الحجّاج حيناً، ويُرسل له الجيوش حيناً آخر، فكانت سياسة عبد الملك قائمة على أصول من الفهم الكامل ووضع خُطط بعيدة المدى.

٥- عدم وجود كيان قوي مُنظم متكامل يتحكم في توجيه الثوار وفق الأهداف المرسومة، يجمع بين ابن الأشعث و العلماء وقادة الجماهير، لقد قام ابن الأشعث خطيبا في الجماهير وندبهم إلى قبول ما عُرض عليهم من عزل الحجاج عنهم وبيعة عبد الملك وإبقاء الأعطيات وإمرة محمد بن مروان على العراق بدل الحجاج،ومما قاله لهم " فقد أعطيتم أمرا انتهازكم اليوم إياه فرصة، ولا آمن أن يكون على ذي الرأي غدا حسرة" فنفر الناس من كل جانب وقالوا: لا والله لا نقبل ذلك، نحن أكثر عددا، وهم في ضيق من الحال وقد حكمنا عليهم وذلوا لنا، والله لا نجيب إلى ذلك أبدا. ثم جددوا خلع عبد الملك، وكان الأولى بابن الأشعث أن لا ينساق لما تطلبه الجماهير،

٦- القيادة لم تكن بيد العلماء، وإنما بيد ابن الأشعث، الذي كان لا يملك بعض صفات القيادة اللازمة، لذا لم يستطع أن يقود جيشه كما يريد، بل انقاد لعواطف ومشاعر الجنود والجماهير،ثم وقع في شباك رتبيل وباعه للحجّاج،وهذا بلاشك يختلف تماما عن أحوال أهل الشام، على مستوى القادة والجنود.

النتائج المترتبة على فشل ثورة عبد الرحمن بن الأشعث:

١- ازدياد ظلم الحجّاج وبطشه:

لقد ترتب على فشل ثورة ابن الأشعث نتائج خطيرة، منها ازدياد ظلم الحجاج وبطشه، واشتد أكثر في تضييقه على العلماء فقتل من قتل منهم وسجن من سجن منهم وهرب منه من استطاع.

٢- ندم الكثير من العلماء على مشاركتهم في الثورة:

لقد ندم كثير من العلماء المشاركين في ثورة ابن الأشعث، فهذا طلحة بن مصرف يقول: شهدت الجماجم، فما رميت، ولا طعنت، ولا ضربت، ولوددت أن هذه سقطت هنا ولم أكن شهدتها[١]

، وعن محمد بن طلحة قال: رآني زبيد اليامي مع العلاء بن عبد الكريم ونحن نضحك فقال: لو شهدت الجماجم ما ضحكت ولوددت أن يدي، أو قال يميني قطعت من العضد وأني لم أكن شهدت[٢]، كما ندم عقبة بن عبد الغافر على مشاركته في القتال كذلك، وغيرهم من العلماء.

٣- علو منزلة العلماء القائلين بعدم الخروج:

لقد علت منزلة العلماء الذين اعتزلوا تلك الفتنة ولم يشاركوا فيها، وقد ظهر أنهم كانوا على الحق، عندما امتنعوا عن المشاركة بل وحرضوا الناس على ذلك ايضا، فعن ابن عون قال:

---

(1)الذهبي:سير أعلام النبلاء (٥/ ١٩٢).

(2)تاريخ خليفة صـ٢٨٧.

كان مسلم بن يسار أرفع عندأهل البصرة من الحسن حتى خف مع ابن الأشعث وكف الحسن، فلم يزل أبو سعيد . يعني الحسن . في علو منها[1].

٤– وضوح منهج التغيير الصحيح:

لقد أوضحت حركة ابن الأشعث بعد أحداثها المؤلمة، ما هو السبيل الأمثل للتغيير، فهناك من كان يرى استخدام القوة وحمل السيف لتغيير الجور والظلم الواقع من بعض الولاة، ولا يرى سبيلا غير ذلك، ولكن بعد أن انتهت الثورة وقُتل من قُتل وفر من فر، اتضحت الرؤية الصحيحة ولذلك قال ابن تيمية عقب الحديث عن ما حدث من فتن وقعت باجتهاد من بعض أهل العلم والصلاح، كخروج الحسين بن علي رضي الله عنه، وفتنة خروج أهل المدينة ووقعة الحرّة وفتنة ابن الأشعث قال: ولهذا استقر مذهب أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم[2].

الحجاج يعفو عن بعض الذين شاركوا في الثورة ويسيطر على العراق

رغم بطش الحجاج وظلمه إلا أنه كان أحيانا يتحلى ببعض صفات الشهامة، فلقد أمر الحجّاج بعد انتهاء معركة دير الجماجم مناديه أن يقول: من لحق بقتيبة ابن مسلم بالري فهو آمن، فكان الشعبي من الذين توجهوا إلى الري فذكره الحجّاج يوماً وسأل عنه فعلم بوجوده بالري، فكتب إلى قتيبة بن مسلم يأمره بإرسال الشعبي إليه فأرسله إليه فلما قدم على الحجّاج لقيه يزيد بن أبي مسلم، وهو حاجب الحجّاج، وكان صديقاً للشعبي . فقال للشعبي: أشر علي، فقال يزيد: اعتذر ما استطعت، قال الشعبي: وأشار بمثل ذلك إخواني ونصحائي، فلما دخلت على الحجّاج رأيت غير ما ذكروا لي، فسلمت عليه بالإمرة وقلت: أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر بغير ما يعلم الله أنه الحق، وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا الحق، قد والله مردنا عليك وحرّضنا وجهدنا فما كنّا بالأقوياء الفجرة ولا بالأتقياء البررة، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا، فإن سطوت فبذنوبنا وما جرّت إليه أيدينا،

---

(1)ابن سعد:الطبقات الكبرى (٧/ ١٦٥).

(2)أحمد عبد الحليم: منهاج السنة (٤/ ٥٢٩، ٥٣٠).

وإن عفوت عنا فبحلمك، وبعد فالحجة لك علينا[1]، فقال الحجاج: أنت والله أحبّ إليّ قولاً ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول: ما فعلت ولا شهدت، وقد أمنت يا شعبي، كيف وجدت الناس بعدَنا؟ فقلت: أصلح اللهُ الأمير، اكتحلت بعدك السحر، واستوعرت الخباب، واستحلست الخوف وفقدت صالح الإخوان، ولم أجد من الأمير خلفاً. قال: انصرف يا شعبي فانصرفت[2]، ولم يقتصر العفو على الشعبي لأنه فقيه أهل العراق فقد عفا عن أشخاص من عامة الناس لصدقهم فيروي أنه أتى بأسيرين، فأمر بقتلهما فقال أحدهما إن لي عندك يداً، قال: ما هي قال: ذكر ابن الأشعث يوماً أمك بسوء فنهيته فقال الحجّاج ومن يعلم ذلك؟ قال: هذا الأسير الآخر فسألة الحجّاج فصدقه فقال له الحجّاج: لم لم تفعل كما فعل؟ قال: ينفعني الصدق عندك؟ قال: نعم، قال: منعني البغض لك ولقومك. فقال الحجّاج: خلوا عن هذا لفعله وعن هذا لصدقه .

(1)ابن الأثير:الكامل في التاريخ (٣/ ١٦٥).

(2)ابن الأثير:المصدر السابق(٣/ ١٦٦).